

# **منهج القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين**

**إعداد**

**د عبد الرحمن قايد عبد الرحمن الفقيه  
المدرس المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة  
العلوم والتكنولوجيا اليمنية**



## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن من مقاصد القرآن الكريم بيان سبيل الكافرين ومنهج الظالمين، وصفات المجرمين؛ ليحذره أهل الإيمان، ويكونوا بمنأى عن طريقهم وجاداتهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفَصَّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥)، والنفاق والمنافقون من طريق الضلال التي جلاها وأوضحها، وبين صفاتها وأبرزها.

والنفاق نمو مضر في جسم المجتمع المسلم لا ينسجم مع عقيدة الإسلام، وهدفه تدمير المجتمع المسلم، فهو أشبه بالسرطان في جسم الإنسان؛ لذلك اعتبر القرآن الكريم المنافقين من أخبث الخبائث الكفرة؛ إذ جعل له الدرك الأسفل من النار؛ لذلك كله من الأهمية بمكان أن نطلع على منهج القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين.

أولاً: أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في بيانه لمنهج القرآن الكريم في التعامل مع فئة من أخطر الفئات على الأمة الإسلامية على مر العصور، وذلك من خلال تتبع الآيات الكريمة التي وضحت وجلت هذا الموضوع، والمعزز بأقوال العلماء.

ثانياً: أهداف الموضوع:

هدف هذا البحث إلى ما يلي:

- ١- بيان منهج القرآن الكريم في توضيح صفات المنافقين.
  - ٢- بيان منهج القرآن الكريم في الإعراض عنهم وموعظتهم والقول بالبلغ لهم.
  - ٣- بيان منهج القرآن الكريم في التحذير منهم وعدم طاعتهم وترك أذاهم.
  - ٤- بيان منهج القرآن الكريم في جهادهم والإغلاظ عليهم.
- ثالثاً: منهج البحث:

تتاول البحث موضوع (منهج القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين)، بالدراسة الموضوعية والمنهج الوصفي التحليلي.

رابعاً: خطة البحث:

- ولتحقيق أهداف البحث جعلته في ستة مباحث وخاتمة وفهرس كما يلي:
- المبحث الأول: المقصود بالنفاق لغة واصطلاحاً. وفيه مطلبان:
    - المطلب الأول: تعريف النفاق في اللغة.
    - المطلب الثاني: تعريف النفاق في الاصطلاح.
  - المبحث الثاني: أنواع النفاق وعلاماته.
  - المبحث الثالث: منهج القرآن الكريم في إظهار صفات المنافقين. وفيه ثلاثة مطالب:
    - المطلب الأول: صفات المنافقين من خلال سورة البقرة.
    - المطلب الثاني: صفات المنافقين من خلال سورة التوبة.
    - المطلب الثالث: صفات المنافقين من خلال سورة المنافقين.
  - المبحث الرابع: منهج القرآن الكريم في الإعراض عنهم وموعظتهم والقول بالبلغ لهم.
  - المبحث الخامس: منهج القرآن الكريم في التحذير منهم وعدم طاعتهم وترك أذاهم.
    - المطلب الأول: التحذير منهم.

المطلب الثاني: عدم طاعتهم وترك أذاهم.

المبحث السادس: منهج القرآن الكريم في جهادهم والإغلاظ عليهم.

المبحث الأول: المقصود بالنفاق في اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول: تعريف النفاق في اللغة.

"النفاق فعل المنافق يقال: نَافَقَ يَنَافِقُ نِيفَاقًا ونِيفَاقًا، أما أصله فقد اختلف علماء اللغة فيه، فقيل: إن ذلك نسبة إلى النفق وهو السرب في الأرض، لأن المنافق يستر كفره ويغيبه، فتشبه بالذي يدخل النفق يستتر فيه. (والنون والفاء والقاف) أصلان صحيحان في لغة العرب، يدل أحدهما على انقطاع الشيء وذهابه، ويدل الآخر على إخفاء شيء وإغماضه، ومتى حصل الكلام فيهما تقاربا .

ومن الأصل الثاني يقال: النَّفَقُ وهو سَرَبٌ في الأرض له مخلص إلى مكان آخر، والنَافِقَاءُ: موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه، فانفق وخرج، ومنه اشتقاق النفاق لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكان الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء . ويقال: نَافَقَ في الدين: ستر كفره، وأظهر إيمانه، وسمي المنافق منافقاً؛ لأنه يستر كفره ويغيبه ، فشبه بالذي يدخل النفق، أو لأنه نَافِقٌ كاليربوع"<sup>١</sup> .

وجاء في القاموس المحيط: " ونَافِقٌ في الدين : سَتَرَ كُفْرَهُ وَأَظْهَرَ إِيمَانَهُ"<sup>٢</sup>

المطلب الثاني: تعريف النفاق في الاصطلاح.

قال الجرجاني<sup>٣</sup> - رحمه الله- : " النفاق إظهار الإيمان باللسان وكتمان

الكفر بالقلب"<sup>٤</sup>.

وقال ابن منظور: "وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه وإن كان أصله في اللغة معروفاً"<sup>٥</sup> .

وقيل أن النفاق هو "القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد".<sup>٦</sup>

وخاصة التعريف اللغوي والاصطلاحي للنفاق أن المنافق هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه.

والمنافق لا بد أن تختلف سريرته وعلانيته وظاهره وباطنه، ولهذا وصفهم الله بالكذب كما قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ﴾ (الصفون: ١).

وهذا المعنى الاصطلاحي أنهم يظهر عكس ما يبطنون عرفه لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (ال عمران: ٦٧)، وهذا يعني أن أهم خصائص المنافقين، الاختلاف بين الظاهر والباطن، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيُؤْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٨). "وقد أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق، وأن هذه الصفة صفتهم".<sup>٧</sup>

وقد يطبق بعض الفقهاء على المنافق لفظة الزنديق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية "ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكلموا بلفظ (الزنديق) وشاعت في لسان الفقهاء، والمقصود هنا: أن الزنديق في عرفهم، هو المنافق الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن ديناً من الأديان: كدين اليهود والنصارى أو غيرهم".<sup>٨</sup>

المبحث الثاني: أنواع النفاق وعلاماته.

ينقسم النفاق إلى نوعين:

الأول: النفاق الأكبر: وهو النفاق الاعتقادي، أي في أصل الدين، وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وهو المقصود به في التعريف الاصطلاحي كما سبق ذكره، إذ هو المذكور في القرآن، وأهله هم الأخطر، ولذا عني القرآن الكريم بهتك

أستارهم، وكشف خباياهم في مواضع وآيات متعددة من القرآن، وهو مخرج عن ملة الإسلام وصاحبه في الدرك الأسفل من النار قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء: ١٤٥)، وهذا ما سيأتي تفصيله في المباحث اللاحقة في منهج القرآن في التعامل مع المنافقين.

الثاني: النفاق الأصغر، وهو النفاق العملي وهو من الذنوب الكبيرة، وهو دون الكفر، والأصل فيه ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة وغيرهما من الصحابة- رضي الله عنهم- في ذكر آية المنافق فعن أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان"<sup>١</sup>، وفي رواية عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"<sup>١</sup>. والنفاق بذلك هو عمل شيء من أعمال المنافقين، مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يُخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكون في إيمان ونفاق.

و"على أن النفاق يطلق تجوزاً على من ارتكب خصلة من خصال النفاق كالكذب، أو خلاف الوعد، أو يقال: هذا نفاق عملي وليس اعتقادياً حقيقياً"<sup>١</sup>.  
والغالب أن هذه الخصال متلازمة، فإن الذي يحدث بالكذب مخلف للوعد، غير حافظ للأمانة والعهد، فاجر عند الخصومة. والله تعالى أعلم.  
"وقد أجمع العلماء على أن من كان مصداقاً بقلبه ولسانه وقَعَلَ هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر، ولا هو منافق يخلد في النار، وهذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافق في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم"<sup>١</sup>.

المبحث الثالث: منهج القرآن الكريم في إظهار صفات المنافقين.

تحدث الله في أكثر من موضع من كتابه الكريم عن صفات المنافقين، وقد هتك سبحانه أستارهم، وكشف أسرارهم، وجلى لعباده أمرهم في القرآن، كما في سورة البقرة وسورة النساء وسورة الأنفال وسورة التوبة وسورة العنكبوت وسورة الأحزاب وسورة الفتح وسورة الحشر وسورة المنافقين وغيرها من السور، وما ذلك إلا لعظم خطرهم على الإسلام والمسلمين وليلتجنب المؤمن هذه الصفات الذميمة.

"وقد وردت لفظة (المنافقون) ٨ مرات، و(المنافقين) ١٩ مرة، و(المنافقات) ٥ مرات، و(نافقوا) مرتين، و(النفاق) مرة واحدة، و(نفاقاً) مرتين"<sup>١٣</sup>، كل ذلك من أجل خطورة موقفهم الذي يتمثل في إظهارهم الإيمان وإبطانهم الكفر كما ذكرنا ذلك في تعريفهم، فتكون الخطورة في اشتباه حالهم على الناس، فجاء بيان القرآن الكريم الجلي الواضح في بيان صفاتهم وأحوالهم وأفعالهم، ليحذر المسلمون من التلبس بشئ من هذه الصفات التي هي من سمات المنافقين.

وقد كانت نكايتهم بالمسلمين، أشد من نكايته من حاله ظاهر في الكفر، لا ندساسهم في صفوف المسلمين وتلبسهم بالدين، وتمكنهم من الكيد للإسلام من الداخل، وكان ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم أشد الأذى لأنه لا يستطيع عمل شيء لهم سوى القبول بظاهرهم، ثم يكل سرائرهم الى الله تعالى.

وقد كان أول ظهور النفاق في الفترة المدنية، قال ابن كثير<sup>١٤</sup> -رحمه الله:-

"وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية، لأن مكة لم يكن فيها نفاق، بل كان خلافه: من الناس من يظهر الكفر مستكراً، وهو في الباطن مؤمن، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام، على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع،

حلفاء الخزرج وبنو النضير وبنو قريظة، حلفاء الأوس، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، وقل من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام رضي الله عنه، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً ، لأنه لم يكن للمسلمين بعدُ شوكة تُخاف، بل قد كان عليه الصلاة والسلام وأدع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة، فلما كانت وقعة بدر العظمى، واطهر الله كلمته، وأعز الإسلام وأهله ، قال عبد الله بن أبي بن سلول وكان رأساً في المدينة ، وهو من الخزرج ، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا عزموا على أن يملكوه عليهم، فجاءهم الخير وأسلموا، واشتغلوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر قد توجه، فأظهر الدخول في الإسلام ، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب، فمِن ثم وُجِدَ النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب "١٥

ولم يعاملهم رسول الله معاملته الكفار في مقاتلتهم، حتى لا تحصل فتنة للناس، الذين لا يعلمون من حالهم إلا الإسلام الظاهري وسيكون ذلك تهمة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يقتل أصحابه فينفر الناس عن الدين ، ولذلك لما أستاذن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - في غزوة بني المصطلق - أن يقتل عبد الله ابن أبي بن سلول بقوله: دعني أضرب عنق هذا المنافق رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه...."١٦

وستكون فريضة أيضاً لأعداء الإسلام ، في أن يشيعوا هذا المعنى الذي كان يخشاه النبي صلى الله عليه وسلم، ويكونوا بذلك قد وجدوا سلاحاً في أيديهم لتغيير الناس عن الإسلام.

وسأقتصر في هذا المبحث على سرد بعض صفاتهم من السور الآتية: سورة البقرة وسورة التوبة وسورة المنافقين؛ لا حتوائها على الكثير من صفاتهم وطلباً للاختصار، على النحو الآتي:

**المطلب الأول: بعض صفات المنافقين من خلال سورة البقرة:**

"ذكر الله طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشر آية، لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله<sup>١٧</sup>، ومن هذه الصفات التي وصف الله هذه الفئة في هذه السورة:

١- أنهم يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام: كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٨)، فهم في معاملاتهم وحلاوة أسنتهم في الكلام، تحسبهم مؤمنين، والله يكشف حالهم ويفضحهم إلى الأبد ليقول: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أن حقيقتهم الكفر وبُغض الدين.

٢- أنهم مخادعون ماكرون: قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ٩)، فيحصل الخداع منهم لله ولرسوله وللمؤمنين حسب ظنهم، وذلك بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر، فيعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك، وإنه يروج على بعض المؤمنين.

و" إن في قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ٩)، حقيقة كبيرة وتفضلاً من الله، تلك الحقيقة هي التي يؤكدها القرآن دائماً ويقررها، وهي حقيقة الصلة بين الله والمؤمنين، إنه يجعل صفهم صفه، وأمرهم أمره، وشأنهم شأنه، ويجعل عدوهم عدوه، وما يوجه إليهم من مكر موجهاً إليه - سبحانه - وهذا هو التفضل العلوي الكريم، وفي هذا

المقطع من الآية تهديد شديد للذين يحاولون خداع المؤمنين والمكر بهم، إيصال الأذى لهم، تهديد لهم بأن معركتهم ليست مع المؤمنين وحدهم، إنما هي مع الله القوي الجبار<sup>١٨</sup>.

٣- أنهم مرضى القلوب: قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة: ١٠)، المرض هو الشك في حقيقة هذا الدين وصلاحيته لحكم الأرض بأجمعها<sup>١٩</sup>، "إن في طبيعتهم آفة، في قلوبهم علة، وهذا ما يحيد بهم عن الطريق الواضح المستقيم، ويجعلهم يستحقون من الله أن يزيدهم مما هم فيه (فزادهم الله مرضاً)، فالمرض يُنشئ المرض، والانحراف يبدأ يسيراً، ثم تتفرج الزاوية في كل خطوة وتزداد، سنة لا تتخلف"<sup>٢٠</sup>.

٤- أنهم مفسدون ويزعمون الإصلاح: قال جل شأنه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة: ١١ - ١٢)، فهم يدعون الصلاح والتقوى، وإن غيرهم هم المفسدون، لكن الله يؤكد صراحة وبوضوح أنهم هم المفسدون.

٥- أنهم يستهزئون بالمؤمنين الصادقين:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣)، وهذا المعنى يتكرر في كل زمان ومكان، وهذه الصفة الخبيثة منهم، لا يخلو منها عصر ولا مصر، وهي استهزاءهم بالمؤمنين، فنحن نلاحظ أنه كلما أراد رجل أن يهتدي ويستقيم، أو يحافظ على دينه، انبرى له هؤلاء المنافقين بالسخرية والاستهزاء.

## ٦- التآمر على المؤمنين ومعاونة الكافرين:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة: ١٤ - ١٥)، وهذه الصفة من أخبث الصفات لدى هذه الفئة؛ لأنها تخالف الفطرة جملة وتفصيلاً، وهي إلى كونها تخالف الفطرة، لا تليق بالرجال، وما أقبحها من صفة ذميمة أن يكون الرجل ذا لسانين أو ذا وجهين، فإذا ما لقي المؤمنين قال: نحن معكم وآمننا كما آمنتم، بل وصلى وصام وقام وشارك في كثير من الأعمال، وإذا ذهب إلى شياطينه، وقال لهم: إنا معكم أي: نحن على مثل ما أنتم عليه، ولا يمكن أن نفارقكم أو نفارق ما أنتم عليه (إنما نحن مُسْتَهْزِئُونَ).

وقال تعالى عنهم في موالاتهم الكافرين: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَزْوَاجًا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٣٨ - ١٣٩)، وكما قال تعالى أيضاً في ولائهم لأهل الكتاب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِغَ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الحشر: ١١).

## المطلب الثاني: بعض صفات المنافقين من خلال سورة التوبة:

ذكر الله صفات كثيرة للمنافقين في سورة التوبة والتي من أسماؤها الفاضحة والكاشفة، فقد كشفت صفاتهم الذميمة وحقدتهم على الإسلام والمسلمين، وسنكتفي بذكر بعض هذه الصفات ومنها:

## ١- الكسل والبخل:

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَيُرْسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (التوبة: ٥٤)، وكما قال

تعالى أيضاً عنهم في سورة النساء: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٤٢)، فهؤلاء المنافقين إن اضطروا لمجارة المؤمنين، والصلاة أو الاتفاق بين يدي الله عز وجل - ، فإنهم يعملونها وهم كسالى متناقلون.

## ٢- الفرع بمصائب المؤمنين:

قال تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة: ٥٠)، إنهم يفرحون بكل مصيبة، وستسهرهم ويبشون لها ويبشون، بل ويسعون فيها بكل ما أوتوا من قوة، وفي المقابل تجد الحزن مسيطراً عليهم كل ما حاز المسلمون على نصر.

٣- عدم الرضا بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به وبالمؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَحْطُونَ﴾ (التوبة: ٥٨)، فهؤلاء المنافقون يعيبون رسول الله صلاة الله وسلامه عليه، ولا يرضون بحكمه، ويرون إنما يقسم الصدقات وفق هواه، فلوا أعطوا منها لسكتوا ورضوا، أما وقد منعوا فهم يطعنون ويعيبون.

ولقد عايش المؤمنون وفي مقدمتهم قائدهم صلى الله عليه وسلم ألواناً من سخرية المنافقين كشفت عنه هذه السورة، وكما قال الله عنهم: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلٌّ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١)، فهذا مثال وصورة من صور سوء الأدب مع الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان هذا واقع المنافقين مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو النبي المصطفى فإنهم مع سائر المؤمنين أشد سخرية وأعظم استهزاء، يقول تعالى: ﴿يَخَذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُبَيِّنُ لَهُمْ مَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزَؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُخْرِمِينَ﴾ (التوبة: ٦٤ - ٦٦).

٤- كراهية الطاعة:

قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨١)، فهم كارهون للمجاهدة في سبيل الله بالمال والنفس، وهم متبطين لهمم المسلمين، والسبب الرئيس في ذلك أنهم ليسوا مؤمنين، ففساد الاعتقاد هو الذي أثمر الثمار الخبيثة.

٥- تنفيذ المواثيق:

يقول جل شأنه عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِلسَّبِيلِ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَخْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة: ١٠٧)، فهم لا يكتفون بالعمل الفردي، بل لهم مراكز مهمة، لتنفيذ تأمرهم وخططهم، وما مسجد الضرار الذي بنوه في مقابل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خير شاهد على ذلك.

٦- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ونبذهم الله تعالى:

يقول تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧)، فأقوال المنافقين وأفعالهم ضد كل خير ومع كل شر، فنجدهم نصبوا أنفسهم حرباً على المعروف

وأهله، أوصيباء على المنكر وأهله، لا يرون باباً من أبواب الخير إلا سعوا في صد الناس عنه، وتفسيرهم منه، وكما قال تعالى عنهم في موضع آخر في سورة المنافقين: ﴿هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْفَهُونَ﴾ (المنافقون: ٧)، وما وجود بعض القنوات والصحف في وقتنا الحاضر التي تبث المنكر، وتحارب المعروف؛ إلا مظهر من مظاهر هذه الفئة.

٧- عدم الانتفاع من الآيات:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَمَزَّادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَمَزَّادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هِيلَ يَرَاكُم مِمَّنْ أَحَدٌ ثَمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّيْلِ قُلُوبُهُمْ بَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَقْفَهُونَ﴾ (التوبة: ١٢٤-١٢٧)، فهذه الآيات الكريمة تعرض حال المنافقين عند تنزل الآيات، كما تصور حال المؤمنين كذلك، أما المنافق فإنه يتساءل تساؤل المرتاب مع من كان معه في الضلال، ولم ينتفعوا بهذه الآيات ولم يتعضوا بها؛ فأكسبتهم مصيبتان: أنها زادتهم رجساً إلى رجسهم، وأنهم ماتوا وهم كافرون.

المطلب الثالث: بعض صفات المنافقين من خلال سورة المنافقين:

سمي الله هذه السورة الكريمة باسم هذه الفئة، ووضح الله فيها الكثير من صفاتهم ومنها:

١- الكذب والحلف على الكذب:

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون: ١)، وحلفهم هو خشية القتل،

وأتقاؤهم الناس بالأيمان الكاذبة، واغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم، فاعتقدوا انهم مسلمون وهم في الباطن لا يألون الإسلام وأهله.

٢- عدم الثبات على الإيمان وسرعة التقلب:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون: ٢)، فهم لا يثبتون على حال، بل تراهم سرعي التقلب، يقول ابن تيمية- رحمه الله:- "ولهذا ذم الله المنافقين لأنهم دخلوا في الإيمان ثم خرجوا منه"<sup>٢١</sup>.

٢- بلاغة النطق وجمال الأجسام:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْنَهُمْ فَإِنَّهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون: ٤)، فأجسامهم وأقوالهم معجبة، ولكن ليس وراء ذلك من الأخلاق الفاضلة والهدى الصالح شيء، فهم أعذب الناس ألسناً، وأمرهم قلوباً، وأعظم الناس مخالفة بين أعمالهم وأقوالهم، وأعمالهم تكذب أقوالهم، وباطنهم عكس ظاهرهم، وسرائرهم تناقض علانيتهم، فعلى المسلم الحذر من الوثوق بهم.

٣- الخوف والجبن والهلع:

قال تعالى في نفس الآية السابقة: ﴿يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾، فهم في خوف دائم، وفرع شديد وحيرة من فضحهم وكشف أسرارهم.

٤- حقدهم وبغضهم للدين وأهله، وحبهم لعداوة المسلمين.

قال تعالى أيضاً في نفس الآية السابقة: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْنَهُمْ فَإِنَّهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، فشرهم مستمر، وعداوتهم لا تنقطع، لكن عدائهم لا يظهرونه - غالباً-، بعكس الأعداء المظهرين لعدائهم، ويتضح ذلك من تأمرهم على الرسول صلى الله عليه وسلم من وراء الستار، ونيلهم من دعوة الإسلام ما لا

يناله الكافر الواضح كفره، ودائماً يتصدرون نشر الشائعات والأراجيف، كما قال عنهم سبحانه في سورة الأحزاب في آيات بينات واضحات، فاضحاً سبحانه -  
 حقدهم وبغضهم لهذا الدين: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مِنْهُمْ لَا يَسِيرًا (١٥)﴾، وكما قال تعالى أيضاً عنهم في أواخر سورة المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨).

٥- الاستهزاء والاستكبار والإصرار على العصيان:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (المنافقون: ٥)، فهذه الفئة دائمة الاستمرار على العناد، والاعتزاز بما هم عليه من الباطل، واتباع الغي.

والذي يتحصل من النصوص أن المنافقين لا يتعضون مطلقاً فهم:

- لا ينتفعون من الآيات الشرعية التي نزل بها الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، بل يسخرون منها ويكذبون بها ويعرضون عنها، وتكون الآيات زيادة في مرض قلوبهم، وزيادة ضلالهم.

- لا ينتفعون من الآيات الكونية التي تجري عليهم.

المبحث الرابع: منهج القرآن الكريم في الإعراض عنهم وموعظتهم والقول البليغ لهم.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (النساء: ٦٣)، فبعد أن بين سبحانه أن

هؤلاء المنافقين يصدون عن الدين في حال دعوتهم إليه في الآيات التي قبلها بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (النساء: ٦١)، فقد أرشد نبيه إلى الإعراض عنهم، وقد اختلف العلماء في معنى الإعراض عنهم، فقال بعضهم: هو ترك معابقتهم في الدنيا<sup>٢٢</sup> اكتفاءً بظواهرهم، وعلى هذا القول تجري على المنافق الأحكام التي تجري على عامة المسلمين، لإظهارهم الإسلام .

وقال بعض المفسرين أي: لا تقبل عذرهم<sup>٢٣</sup>، وذهب البعض إلى أن الإعراض هنا يحتمل أن يكون إعراضاً قلبياً، وهو عدم الحزن من صدودهم، وكأنه قال لرسوله صلى الله عليه وسلم: لا تهتم بصددهم فإن الله مجازيهم بدليل قوله في الآية قبلها: ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ وقوله سبحانه في نفس الآية: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾، ولعل هذا القول هو الأنسب والقول الحسن في معنى الإعراض.

وبعد أمر الله لنبيه الكريم بالإعراض عنهم أرشده في التعامل معهم بوعظهم والنصيحة لهم عما هم عليه، ثم حثه على القول البليغ لهم: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾

وجاء في الكشاف: " قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولاً بليغاً، وأن الله يعلم ما في قلوبكم ولا يخفى عليه، فلا يغني عنكم إبطانه، فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق، وإلا أنزل عليكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه، وشرأ من ذلك وأغلظ"<sup>٢٤</sup>، ولعل من المناسب أن نذكر أن الله قال في الآية ( في أنفسهم) أي: خالياً بهم، ليس معهم غيرهم، ساراً لهم بالنصيحة، لأنه في السر أنجع، وعلى الدعاة إلى الله أن

يتمثلوا هذا التوجيه القرآني لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالإسرار بالنصيحة للمخالف، فإذا كان هذا التوجيه مع المنافق فكيف بغيره .

المبحث الخامس: منهج القرآن الكريم في التحذير من المنافقين وعدم طاعتهم وترك أذاهم.

المطلب الأول: التحذير منهم.

يقول الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْتُمْ خَشَبٌ مُسْتَدَّةٌ يُخْسُونَ كُلَّ صَبْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ فَإِنَّهُمْ لِلَّهِ أُنَى يُؤْفَكُونَ ﴾ (المنافقون: ٤)، فقد جعل الله وحصر العداوة فيهم، مع وجود غيرهم من الأعداء الخارجيين، وليس المراد الحصر التام الذي لا يدخل فيه غيرهم، وإنما المراد - والله أعلم - إثبات الأولوية في هذا الوصف.

ولعل السر في ذلك - والله أعلم - أن العدو الخارجي لا قدرة له في الغالب على النفوذ في المجتمع المسلم إلا عن طريق هؤلاء المنافقين على مر العصور، فرتب سبحانه على ذلك الحذر منهم ومن كيدهم، وعلاقتهم المشبوهة من الأعداء خاصة تحالفهم مع اليهود كما قال الله عنهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الحشر: ١١)، وعلى هذا يقتضي أبعادهم عن مواطن النفوذ في المجتمع المسلم.

قال ابن القيم<sup>٢٥</sup> - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾، "ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر أي لا عدو إلا هم، ولكن هاهنا حصر العداوة منهم، وأنهم لا عدو للمسلمين غيرهم، بل هو من إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف، وأنه

لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار، ونصب لهم العداوة، وجاهرهم بها، فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم، المعاشرين لهم، وهم في الباطن على خلاف دينهم، أشد من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم، لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء المنافقين معهم في الديار، والمنازل صباحاً ومساءً، يدلون على عوراتهم، ويترصدون بهم الدوائر، ولا يمكن مناجزتهم، فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر، فلهذا قيل "هم العدو" لا على معنى أنه لا عدو لكم سواهم، بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدوأمّن الكفار المجاهرين"<sup>٢٦</sup>.

وقال الشنقيطي -رحمه الله-: موضحاً حقيقة الحصر في الآية: "فيه ما يشعر بحصر العداوة في المنافقين مع وجودها في المشركين واليهود، ولكن إظهار المشركين شركهم، وإعلان اليهود كفرهم، مدعاة للحذر منهم طبعاً، أما هؤلاء فادعأوهم الإيمان وحلفهم عليه قد يوحي بالركون إليهم ولو رغبة في تأليفهم، فكانوا أولى بالتحذير منهم لشدة عداوتهم، ولقوة مداخلتهم مع المسلمين مما يمكنهم من الاطلاع على جميع شؤونهم"<sup>٢٧</sup>.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة، حيث امتثل هذا الأمر، فكان شديد الحذر منهم، ومن ذلك أنه كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها<sup>٢٨</sup>. وكل هذا الحذر منه عليه الصلاة والسلام من هؤلاء القوم حفظاً لأسرار الدولة أن يطلع عليها أهل النفاق، فتنقل للعدو.

المطلب الثاني: عدم طاعتهم، وترك أذاهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (الأحزاب: ٤٨)، فقد أرشد الله في هذه الآية وهذا التوجيه إلى عدم

طاعتهم، لأنهم لا يأمرون - في الغالب - إلا بما فيه ضرر على الإسلام والمسلمين، لأن هذا طبعهم وما حصل من عبد الله بن سلول في غزوة أحد ورجوعه بثلاث الجيش إلا دليل على أنهم لا يريدون الخير للمسلمين، ويتحبنون الفرص للذيل منه.

وأرشد سبحانه إلى ترك أذاهم، وترك الأذى يحتمل معنيين كما ذكر ذلك علماء التفسير<sup>٢٩</sup>، أحدهما: الصبر على أذاهم وتحمل ما يصدر من أذى منهم، والثاني: ترك مجازاتهم على الأذى الصادر منهم، وأن يكمل أمرهم إلى الله، فهو كافيه سبحانه، ولعل الآية تحتمل القولين.

وهذا يقتضي الصفح والتجاوز عنهم، وهذا لا يتنافى مع ما ذكرنا سابقاً من الأمر بالإغلاظ عليهم، فإن ذلك حسب ما يقتضيه الحال أحياناً، لكن يبقى ترك أذاهم هو الأصل والغالب في التعامل معهم.

المبحث السادس: منهج القرآن الكريم في جهادهم والإغلاظ عليهم.

يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه العظيم أمراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بمجاهدة الكفار والمنافقين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسْنُ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة: ٧٣)، وهذه الآية وردت في موضعين من كتاب الله تعالى الأولى في سورة التوبة، وهي من آخر ما نزل من القرآن، والثانية في سورة التحريم، وهي من أوائل ما نزل في المدينة المنورة، حيث بدأ النفاق كما ذكرنا ذلك سابقاً.

ويكون الجهاد للكفار والمشركين بالسيف للمعتدي المحارب كما وضحناه سابقاً في الفصول السابقة، ويكون باللسان والبيان للمنافقين، وذلك بنحو الرد عليهم وإفحامهم وإلزامهم ومقارعتهم بالحجة البينة الواضحة.

ولفظ الجهاد أعم من القتال، فلا يلزم من كل جهاد أن يكون قتالاً، كما ذكرنا ذلك سابقاً في قتال الكفار والمشركين.

وهذا النوع من الجهاد هو جهاد الخاصة كما ورد عن ابن القيم - رحمه الله - قوله: "فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة وورثة النسل، والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه، والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأقلين عدداً؛ فهم الأعظمون عند الله قدراً"<sup>٢٠</sup>.

وأما قوله (وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ)، "لفظة عامة في الأفعال والأقوال، ومعنى الغلظ: حَسَنُ الجَانِبِ، فهو ضد قوله تعالى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥) "<sup>٢١</sup>.

ولعل السر في الإغلاظ على المنافقين - والله تعالى أعلم - أن المنافقين فيهم من اللؤم والخسة، واللئيم إن أحسنت إليه ازداد لؤماً وشرأ، وإن أغلظت عليه وزجرته كُفيت شره.

وإنما جمع الله على المنافقين الجهاد والإغلاظ؛ توجيهاً لمن يرى ضرورة الفرق بهم وملاطفتهم، وإن كان ذلك يختلف باختلاف درجات النفاق وأحوال المنافقين، هذا ولا يلزم من الأمر بالإغلاظ على المنافقين، أن يكون ذلك في كل وقت ومع كل منافق.

والمقصود أن جهاد المنافقين والإغلاظ عليهم لا يكون بقتلهم وقتالهم كما ورد في السنة من تعامل النبي صلى الله عليه وسلم معهم دون مقاتلتهم، وإنما بما دون ذلك مما ذكر.

## الخاتمة

## أولاً: أهم النتائج:

- ١- النفاق خطره عظيم، وصاحبه أشد خطراً على الإسلام والمسلمين، لذلك جعل الله عقوبته أعظم من الكفار قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٤٥).
- ٢- أن من أهم خصائص المنافقين الاختلاف بين الظاهر والباطن، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (ال عمران: ١٦٧).
- ٣- أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بالإعراض عن المنافقين ووعظهم وأن يقول لهم القول البليغ، قال تعالى: ﴿يَا أُولِيكَ الْأَلْبَابِ إِنَّمَا كَانَ لِقَافِئِهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (النساء: ٦٣).
- ٤- بيّن القرآن الكريم أنه يجب عدم طاعة المنافقين وتوليهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الأحزاب: ١).
- ٥- كشف الله المنافقين وفضحهم وجلاهم لعباده في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٤٢)، وقال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧).

٦- أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهٖ بِمُجَاهِدَةِ الْمُنَافِقِينَ، وَيَكُونُ جِهَادَهُمْ بِالْحِجَّةِ وَالْبَيَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرُ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة: ٧٣).

٧- لا يكون جهاد المنافقين والاعلاظ عليهم بقتلهم وقتالهم، حتى لا تحصل فتنة للناس بقتلهم، حيث أن ظاهرهم الإسلام، فيكون ذلك تهمة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يقتل أصحابه، فينفر الناس عن الدين.

#### ثانياً: أهم التوصيات:

٨- على المسلمين التنبه إلى خطر المنافقين والحذر منهم وتجنب صفاتهم.

٩- على العلماء والدعاة إلى الله تبصير المسلمين بمنهج القرآن الكريم في كيفية التعامل مع هذه الفئة.

١٠- على الباحثين والدراسين تجلية هذا الموضوع بالبحث والدراسة لما فيه من النفع للمسلمين.

## فهرس المصادر والمراجع

## - القرآن الكرم.

- ١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، دار عالم الفوائد، جدة، (د.ت).
- ٢- الأعلام، لخبر الدين الزركلي، ط ١٥، دار العلم للملايين، مصر، ٢٠٠٢م.
- ٣- لسان العرب، ابن منظور، ط ١ دار صادر، بيروت، (١٩٩٠).
- ٤- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير، ط ٣، دار المعرفة، لبنان، (١٩٨٩م).
- ٥- تفسير البغوي معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين البغوي، ط ١، دار طيبة، (١٩٨٩).
- ٦- تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبي عبد الرحمن بن محمد الثعالبي المالكي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (١٩٩٧).
- ٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقق عبد الله التركي، ط ١، هجر للطباعة والنشر. (٢٠٠١م).
- ٨- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (٢٠٠٣م).
- ٩- جلاء العينين، نعمان بن محمد بن عبد الله الألويسي، مطبعة المدينة (١٩٨١م).

- ١٠- الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، (٢٠٢١/٤) عام (١٣٨٧ هـ)
- ١١- زاد المعاد في هدي خير العباد: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، ط ١٥، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٨٧ م).
- ١٢- شرح مسلم، أبو زكريا محب الدين يحيى بن سرف النووي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، (١٣٩٢ هـ).
- ١٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط ٣، دار ابن كثير، اليمامة بيروت، تحقيق مصطفى ديب البغا، (١٩٨٧ م).
- ١٤- الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت (١٤١٤ هـ).
- ١٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية، ط ٢، دار السلفية، القاهرة، (١٣٩٤ هـ).
- ١٦- عارضة الأحوذني، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ١٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، ط ٣، دار الوفاء، المنصورة، (٢٠٠٥)
- ١٨- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط ٣٤، دار الشروق، القاهرة، (٢٠٠٤ م).
- ١٩- القاموس المحيط، محمد يعقوب، الفيروز آبادي، ط ١، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨ م.

- ٢٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل،  
جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط١، تحقيق عادل أحمد وعلي  
محمد، مكتبة العبيكان، السعودية(١٩٩٨).
- ٢١- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق محمد  
عوض، ط١، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ٢٠٠١م.
- ٢٢- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، دار المعرفة بيروت، لبنان، (د.ت).
- ٢٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، المكتبة العلمية -  
بيروت(د.ت).
- ٢٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار  
الحديث، القاهرة(٢٠٠٧م).
- ٢٥- مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، دار القاسم، الرياض، (د.ت).
- ٢٦- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل الصفدي، ط٢، مطابع فرانز  
بفيستاندن، (١٣٨٢هـ).

## الهوامش

- (١) ينظر "معجم مقاييس اللغة"، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق محمد عوض، (٤٥٤/٥)، مادة نفق، ط ١، دار إحياء التراث العربي، لبنان ٢٠٠١ م. ولسان العرب، ابن منظور (٤٥٠٨/٨) مادة نفق، ط ١ دار صادر، بيروت، (١٩٩٠). واليربوع دويبة فوق الجُزء، تمتاز بطول في ذنبها وأذنيها. ورجلاها أطول من يديها، والجمع (يَرَابِيعُ). والعامّة تقول: (جَزُوعٌ). ينظر: لسان العرب: ٨ / ٩٩ مادة: ربع، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي ١ / ٢١٧، المكتبة العلمية - بيروت (د.ت).
- (٢) القاموس المحيط، محمد يعقوب، الفيروز آبادي (١ / ١١٩٦)، مادة (ن ف ق)، ط ١، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨ م.
- (٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، ولد سنة ٥٧٤٠ هـ بمدينة تاكو، وقد صنف تأليفاً وشرحاً وتحشية في علوم شتى في المعقول والمنقول، وعلى رأسها علم الكلام وعلوم العربية، ومن أهمها: التعريفات وشرح المواقف، وحاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي، توفي ٦ ربيع الآخر ٨١٦ في شيراز. ينظر "الأعلام للزركلي، لخير الدين الزركلي (٥ / ١٥٩ - ١٦٠)، ط ١٥، دار العلم للملايين، مصر، ٢٠٠٢ م.
- (٤) التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، ص ١٢٧، ط ١/ دار الكتب العلمية، بيروت، (٥١٤٠٣).
- (٥) لسان العرب، مرجع سابق (٨ / ٤٠٥٩).
- (٦) عارضة الأحوذى، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، (١٠ / ٩٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- (٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (١ / ٢٦٨)، تحقق عبد الله التركي، ط ١، هجر للطباعة والنشر. (٢٠٠١ م).
- (٨) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٧ / ٤٧١)، دار المعرفة بيروت، لبنان، (د.ت).

- (٩) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، (١٠١٠/٣)، ط ٣، دار ابن كثير، اليمامة بيروت، تحقيق مصطفى ديب البغا، رقم الحديث (٢٥٩٨)، (١٩٨٧م).
- (١٠) أخرجه البخاري، المرجع نفسه، (٤٥/١)، كتاب الأخلاق، رقم الحديث (١١٧).
- (١١) الصارم المسئول على شاتم الرسول، ابن تيمية، (٣٥-٣٦)، المكتب الإسلامي، بيروت (١٤١٤هـ).
- (١٢) شرح مسلم، أبو زكريا محب الدين يحيى بن سرف النووي، (٤٦/٢-٤٧)، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، (١٣٩٢هـ)، بتصرف يسير.
- (١٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (ص ٨٠٩)، دار الحديث، القاهرة (٢٠٠٧م).
- (١٤) هو الحافظ الكبير عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي، الفقيه الشافعي، ولد سنة سبع مائة، وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جداً. قال الذهبي : هو الامام المحدث البار، انتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحدث والتفسير ، وكان كثير التصانيف، ومنها البداية والنهاية في التاريخ ووطبقات الشافعية وتفسير القرآن العظيم، وتلامذته كثر منهم العلامة ابن حجر العسقلاني ، وتوفي في شعبان سنة أربع وسبعين وسبع مائة، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيوخه بن تيمية رحمهما الله. ينظر "جلاء العينين ، نعمان بن محمد بن عبد الله الألويسي، (٤٧/١)، مطبعة المدينة (١٩٨١م).
- (١٥) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير (٤٧/١) ، ط ٣، دار المعرفة ، لبنان، (١٩٨٩م).
- (١٦) أخرجه البخاري، مرجع سابق، كتاب التفسير (١٩٢/٦).
- (١٧) ينظر "مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، (٣١٣/١-٣٢٣)، دار القاسم، الرياض، د.ت.
- (١٨) في ظلال القرآن، سيد قطب (٣٨٩/١) ، ط ٣، دار الشروق، القاهرة، (٢٠٠٤م)، بتصرف يسير.
- (١٩) تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (٥١/١).

- (٢٠) في ظلال القرآن، مرجع سابق (٤٣/١).
- (٢١) مجموع الفتاوى، مرجع سابق (٢٧٢/٧).
- (٢٢) ينظر: جامع البيان، مرجع سابق (١٥٩/٤).
- (٢٣) ينظر " تفسير البغوي معالم التنزيل (٢٤٤/٢) ، ط١، دار طيبة ، (١٩٨٩) والجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري ، (٤٣٨/٦)، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (٢٠٠٣ م).
- (٢٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٩٩/٢)، ط١، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد، مكتبة العبيكان، السعودية (١٩٩٨).
- (٢٥) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، المشهور بشمس الدين، من علماء المسلمين في القرن الثامن الهجري، ولد في السابع من شهر صفر ٦٩٢ هـ، درس على يد الشيخ ابن تيمية الدمشقي ولا زمه قرابة ١٦ عاماً، وسجن في قلعة دمشق في أيام ابن تيمية، لديه العديد من المؤلفات منه أحكام الذمة، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، وزد المعاد في هدي خير العباد ، توفي في ليلة الخميس ٧٥٢ هـ، ينظر "الوافي بالوفيات، الصفدي (٢٧٠/٢)، ط٢، (١٣٨٢ هـ)، وينظر " الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، (٢٠٢١/٤) عام (١٣٨٧ هـ)
- (٢٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، محمد بن أبي أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية (ص ٣٧٤)، ط٢، دار السلفية، القاهرة، (١٣٩٤ هـ).
- (٢٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (١٩٨/٨)، دار عالم الفوائد، جدة، (د.ت).

(٢٨) أخرجه البخاري، مرجع سابق، في كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فوزى بغيرها (٢٩٨)، برقم (٢٩٤٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، مرجع سابق (٧٠٣) كتاب التوبة، باب حديث كعب بن مالك، برقم (٢٧٦٩).

(٢٩) ينظر تفسير القرآن العظيم "مرجع سابق، (٥٠٥/٣) وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، (٣٨٠/٤)، ط٣، دار الوفاء، المنصورة، (٢٠٠٥).  
(٣٠) زاد المعاد في هدي خير العباد: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية (٣/٥)، ط٥، تحقيق شعيب وعبد القادر الأنزويوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٨٧م).

(٣١) تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبي عبد الرحمن بن محمد الثعالبي المالكي، (٣/١٩٦)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (١٩٩٧).